

محمد خالدي

محاولة لقراءة خواطر بطل مهزوم

يعود الفارس العربي في عينيه ملحمة الصحارى
الهورج . لون الرحلة الاولى .

تكسرت المفاوز : هذه الفلوات عرس ان بين الشام
والفلوات عرشت الكروم ، امتدت الرايات حمرا .
كل درب بات يحلم ، ابن وجه الفارس العربي ...
قومي وامنحيه الدفاء يا أرضا تشربت الدماء البكر
قومي ... يوم أسرج دوخته الريح - ان الريح في
الفلوات عاتية . خيام البدو ما عرفته . ظل محدقا في
الافق . أرعدت السماء وظل محدقا في الافق :
تأتي من تخوم الشرق قافلة « محملة » بوهج الشمس
..... يا وطنيا توزعني . حملتك في دمي الفوار
وعدا (كان طعم الوعد ملحا) . لم نفيت . كتبت عنك
وكنت تكبر في القصائد ، في عيون الطفل يرسم شكل
خارطة وفي حدقات من أحببت . مرّ البدو والتتر
الغزاة وما أفاق الفارس العربي . كان محدقا في
الافق . مرّ الجند ها هم سوروا الطرقات واقتسموا
النبذ المرثم تبولوا . الرايات باهتة ووجه الشمس
صار محطة للحزن . قيل العائدون يهزم طرب
وقيل وقيل ...!! بدلت الخرائط شكلها ، اتسعت
(وما وسعت حيننا ظل يأكل عمرنا المهدور) . شاخت
هذه المدن الغربية وهي ترحل في قصائدنا لبسنا
حزنها الوحشي . أحرقتنا أصابعنا وقلنا سوف يأتي
الفارس العربي ان نبوءة العراف صادقة .
ولكننا خسرناها

بغداد

يضعها في ميدان الاستثمار لقاء تسهيلات عديدة بواسطة المزارعة ،
في حين ان عمر بن الخطاب رغب عن توزيعها وأبقاها أراضي أميرية
تشرف عليها الدولة وتستثمرها نيابة عن المسلمين اصحابها . وهذا
الاستثمار للصوافي بدأه عثمان بن عفان وأوغل فيه الامويون ، فتحول
الكثير من أراضي الصوافي ذات الملكية العامة الى « ظنن » تقوم
على الملكية الفردية عمليا .

صدر عمر بن الخطاب في تجربته عن دوافع سياسية : فقد كان
الفاخون في بداية عهدهم بالبلدان التي نزلوها ، فسعى عمر بن
الخطاب الى ابعادهم عن التملك الفردي والارتباط بالارض وما
يستتبعه هذا وذلك من صراعات وتناقضات ، في الوقت الذي كان
ينبغي لهم ان يسكوا فيه بزمام الامبراطورية ويديروا دفتها السياسية
والعسكرية . لكن الزمن دار دولابه ، وتوافد العرب جماعات للسكنى
في الهلال الخصيب ، ففدوا من نسيج المنطقة وهومها وتطلعاتها .
لهذا فان عملية بيع الارض الخراجية التي رفضها عمر بن الخطاب
فقدت مسوغها التاريخي ، كما ان تحول الصوافي الى قطائع ازاد
غزاة . وهذا التوزيع للارض وذلك البيع لم تحكهما نوازع خاصة ،
فقد أملاهما منطق التطور ، لانهما ساعدا عمليا على زيادة الثروة
الزراعية ، وتراكم الانتاج ، واتساع العمران ، وتواتر ارتفاع دخل
الدولة من الخراج ، وهذا التطور بمجممله تسارعت وتيرته زمن
العباسيين . لهذا حينما وقف عمر بن عبد العزيز في وجه بعض
جوانب هذا التطور فقد كان عمليا ، رغم ما كان يتمتع به من فضائل
ونوايا طيبة ، يتخذ موقفا محافظا يتنافى مع ضرورات الواقع . ولا
أدل من ان عمر فشل في تنفيذ سياسته المالية ، وكانت الغلبة بعدها
لاجراءات الحجاج السابقة التي أعيد العمل بمعظمها !

ان طريق جهنم ، كما يقال ، معبدة بالنوايا الطيبة ، والتاريخ
لا يتحكم بصفاته الورع والزهة والنوايا الطاهرة ، وان رجال الدين
أنفسهم عندما يصبحون حكاما تتلاشى مواظمتهم السابقة وتنوب عنها
الاحتياجات الملحة . ان التحليل المادي للتاريخ يدعونا الى اكتشاف
خط التطور ومناصرة القوى التي غذت هذا التطور وأمدته بالاجراءات،
مهما بدت هذه الاجراءات للوهلة الاولى متنافرة مع أهوائنا الحاضرة،
لان ما يبدو رجحيا منقهدرا اليوم ربما كان تقدما مستقبليا في حينه.
ان العبودية تابها النفس الانسانية ، لكنها من الناحية الموضوعية
لعبت دورا ايجابيا في التطور البشري . وان الاقطاعية ، على الرغم
مما واجهها من سخرة واذلال ، كانت مرحلة حيوية من مراحل تاريخنا
الانساني . وان البورجوازية ، المشؤومة في يومنا هذا ، كانت عند
صعودها عهدا للانوار والتفتح الفكري والتحرر الاجتماعي والاعتناق
من الخرافات والترهات . وفي نهاية المطاف لا يبقى الا وجه التطور
الفاعل الذي ينقل الانسان ، وبواسطة حضوره وفعله وصراعه ووعيه ،
الى مشارف أعلى من السيطرة على الطبيعة والمصير . ان تاريخ هذا
التطور الانساني تمخض دائما ونسبيا عن عوالم جديدة أرحب وأملا
وأجمل ، وعصرنا هذا شاهد على عالم اشتراكي جديد يطلع ، عبر
المصائب والتضحيات والاختفاء والتجاوزات والانتهاكات والانتكاسات ،
على انقراض عالم البورجوازية الأقل ومخلفات القرون السالفة .

- ٥ -

جارك بيرك - كارل بتراتشك - روجيه غارودي -
دومنيك شوفليه

كان هناك بين المعوين الى « المؤتمر الدولي للتاريخ » عدد من
المفكرين والمستشرقين من الغرب والشرق . وليس غريبا أن يتوقع المرء
مساهمة جدية من لندن هؤلاء في أبحاث المؤتمر ، نظرا الى تفرسهم
بالمؤتمرات العلمية ، ولأنهم على العموم لا يرتجلون الاعمال . لكن لقاء

- التنتمة على الصفحة - ٥٠ -